جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

آياتُ الشَّهيد بينَ سورتَيْ البقرةِ وآلِ عِمران
تأمُّلاتٌ بلاغِيَّةٌ

إعداد
أ.د/ تامر محمد أحمد حجازي
أستاذ البلاغة والنقد ووكيل كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
جامعة الأزهر الشريف

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الرابع .. نوفمبر)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

آياتُ الشَّهيد بينَ سورتَيْ البقرةِ وآلِ عِمران تأمُّلاتٌ بلاغِيَّةٌ

تامر محمد أحمد حجازي

قسم البلاغة والنقد، كليَّة اللغة العربيَّة بإيتاي البارود، جامعة الأزهر، مصر

البريد الالكتروني: drtamer@azhar.edu.eg

الملخص:

يدور هذا البحث حول موضعين من كتاب ربنا ذكر فيهما الشهيد وما أعده الله له من خير عظيم أما الأول فيأتي في سورة البقرة حيث تناولت الآيات فضل الشهيد وفضل أهله وذويه وكان محور التركيز فيها على ذوي الشهيد الذين لا يقل مصابهم عن مصابه ولا ألمهم عن ألمه فخاطبتهم الايات بالصبر مبينة أن ألابتلاء أنواع منها فقد الأمن والطعام والأموال والانفس والثمرات واختتمت بزف البشرى للصابرين بينما تأتي آيات ال عمران ليكون محور التركيز فيها على الشهيد ذاته الذي قدم روحه لله فبشرته بالحياة والرزق ومعية الله والفرح والبشريات المتعددة وهكذا يعمل سياق كل آية ليخدم المقام في توافق بلاغي عجيب مع النظم والغرض المقصود

الكلمات المفتاحية: الشهيد، سورة البقرة، سورة آل عمران، المواساة، تأملات بلاغية.

The verses of the martyr between the Al -Baqarah Surrat and the Amran Rhetoric Reflection

Tamer Mohamed Ahmed Hegazy
Department of Rhetoric and Criticism, College of Arabic Language in Itay Al -Baroud, Al -Azhar University, Egypt
Email: drtamer@azhar.edu.eg

Abstract:
yadur hadha albahth hawl mawdieayn min kitab rabina dhukir fihima alshahid wama 'aeadah allah lah min khayr eazim 'amaa al'awal fayati fi surat albaqara hayth tanawalat alayat fadl alshahid wafadal 'ahlah wadhawih wakan mihwar altarkiz fiha ealaa dhawi alshahid aladhin la yaqilu musabuhum ean musabih wala 'alamuhum ean 'alamih fakhatabathum alayat bialsabr mubayinatan 'ana 'alaibtila' 'anwae minha faqad al'amn waltaeam wal'amwal walainfas walthamarat waukhtutimat bizif albushraa lilsaabirin baynama tati ʾyat al eimran liakun mihwar altarkiz fiha ealaa alshahid dhatih aladhi qadam ruhah lilah fabasharath bialhayat walrizq wamaeiat allah walfarah walbashariaat almutaeadida wahakadha yaemal siaq kuli ayat liakhdim almaqam fi tawafuq balaghi eajib mae alnuzum walgharad almaqsud

Keywords: The Martyr, Surat Al -Baqara, Surat Al -Imran, Al -Mouwasat, Rhetorical Reflections.

مقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة البيان، والصلاة والسلام الأتمان الأكرمان على من أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الكرام الأخيار، وبعد ...

فهذه وريقات كتبتها متأملا موضعين من كتاب ربنا، أحدهما من سورة البقرة، والآخر من سورة آل عمران، يتحدثان عن الشهيد، ذلكم الماجد الذي جاد بنفسه لله عز وجل، تاركا وراءه الدنيا بما فيها من زينة وبنين ونساء وأموال، مقبلا على ربه مقدما روحه فداء لدينه ووطنه وأمته، لا يبالي فوات عمر وضياع شباب وانقطاع لذة يعلم أنها إلى زوال، ليقبل على رب غفور ونعيم دائم سرمدي لا ينقطع ولا يزول.

واللافت في التناول القرآني للموضعين أن أحدهما وهو في سورة البقرة، جعل عماد النظم قائما على مواساة أهل الشهيد وذويه، الذين لا يقل مصابهم عن مصابه، داعيا لهم إلى لزوم الصبر والاسترجاع، ومبينا في الوقت ذاته ما أعده الله لهم من عظيم الجزاء.

بينما يأتي الموضع الثاني وهو في سورة آل عمران ليجعل مقصده الأسمى هو مواساة الشهيد ذاته، وزف البشرى بين يديه وهو في رحلته للقاء الله، معلنا أنهم أحياء، وأن نهاية الدنيا لديهم هي بداية حياة النعيم الحقيقي الأبدي عند الله.

إن النظم الكريم في كلا الموضعين يعمل في سياقه ويخدم المقام الذي ورد فيه، ليتكاملا في الزهراوين في مواساة الشهيد وذويه ومسح أدرانهم وزف البشرى إليهم، وهذا ما تكشف عنه الدراسة البلاغية المتأملة المقارنة بين الموضعين الشريفين، سائلا المولى عز وجل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

والله من وراء القصد.

ا د تامر محمد حجازي

أولا: عرض الآيات

(آيات سورة البقرة)

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٣ – ١٥٧]

(آيات سورة آل عمران)

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ – ١٧٤]

ثانيا: الملامح البلاغية بين السورتين

حين تتأمل آيات سورة البقرة تجد محور التركيز فيها على خطاب أهل الشهيد، تواسيهم، تربط على قلوبهم، تعدهم بالثواب العظيم على الصبر، بينما يأتي محور التركيز في آيات سورة آل عمران على الحديث عن الشهداء أنفسهم وتبين ما أعده الله لهم من ثواب مع التركيز على ذكر صفاتهم في الجنة فتذكر أنهم يرزقون، فرحون، ويستبشرون، الخ.

وفي سبيل نهوض كل سورة بالغرض والمقصد الأعلى من الآيات وفقا للمقام . كما ذكرنا . وجدنا اختلافا في النظم والسياق وعلاقة الآيات بالسابق واللاحق بل وحتى سبب النزول، وبيان ذلك كما يأتي:

السياق العام لكل موضع:

أولا: سياق آيات سورة البقرة

وردت آيات سورة البقرة في ربع ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ ﴾ [البقرة: ١٤٢] وقد ذكرنا أن العماد فيها الحديث عن الصبر ومواساة أم الشهيد وأبيه وذويه وأهله، تلك الأم الثكلى التي لا تقل ألما عن ألم الشهيد ذاته، ووفقا لذلك رأينا الآيات تتوافق مع سياقها العام، فقد ورد قبلها حديث عن الألم النفسي الذي عاشه النبي ﷺ من حديث اليهود والمنافقين عن تحويل القبلة، لذا سماهم (السفهاء) تعزية وتسرية لرسول الله ﷺ وحثا له على الصبر على أذى الناس، واختبارا لصبر المؤمنين على الاتباع والانقياد المطلق ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ ﴾، والعقيدة الصادقة الصحيحة تحتاج إلى صبر ويقين: ﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧ ﴾ [البقرة: ١٤٧]

ويمضي السياق ليبين أن المؤمن بين حالين: الشكر والصبر، فتذكر الأمر بالشكر أولا: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾ [البقرة: ١٥٢] ثم

تتبعه بالأمر بالصبر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٣]

قال الإمام الحافظ ابن كثير: "لَمَّا فَرَغَ تَعَالَى مِنْ بَيَانِ الْأَمْرِ بِالشُّكْرِ، شرع في بيان الصبر والإرشاد والاستعانة بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي نِعْمَةٍ فَيَشْكُرُ عَلَيْهَا، أَوْ فِي نِقْمَةٍ فَيَصْبِرُ عَلَيْهَا"[١]

وفي الحديث الشريف: كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا حزَبه أمرٌ صلَّى.[٢]

والصبر على أربعة أنواع، وقد اجتمعت كلها في هذا السياق، وهي صبر على الطاعة، وقد تجلى في تسليم المؤمنين لتحويل القبلة مع الأمر بالصلاة، وصبر عن المعصية، وبدا ذلك في مكابدة النفس في التسليم لأمر الله في تحويل القبلة: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣] وعدم عصيانهم أمر الله، وصبر على أذى الناس ويتمثل في صبر النبي ﷺ على سخرية السفهاء من تحويل القبلة، ثم يأتي الصبر الأخير وعليه معقد المعنى، وهو الصبر على المصائب فتذكر الآيات الأمر بالصبر والتحلي به لمن فقدوا ذويهم شهداء.

وهذا التناغم السياقي يعد كالتهيئة والتوطئة لمخاطبة أهل الشهيد وذويه وتوطينهم على ما حل بهم من أذى في فقد فلذة أكبادهم، وتركيز آيات سورة البقرة على ذلك كما سنرى من خلال التحليل.

---

١ تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير: ١/ ٣٣٧، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

٢ مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم:٢٣٢٩٩، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

ثانيا: سياق آيات سورة آل عمران

وردت آيات سورة آل عمران في سياق قوله تعالى:﴿ ۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَابَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٥٣ ﴾ [آل عمران: ١٥٣]

اقرأ الآيات في سياق الربع تجدها مفعمة بالقتل والإثخان:

(فأثابكم غما بغم)، (ما قتلنا ههنا)، (لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم)، (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا)، (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم)، (ولئن متم أو قتلتم)، (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين)، (لو أطاعونا ما قتلوا)، (قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين)، ثم تخلص الآيات إلى الحديث عن الشهداء وما أعده الله لهم في الجنة.

وكأن الآيات عنيت بخطاب الشهيد ذاته وبيان ما أعده الله له من ثواب، والسياق كله في غزوة أحد، وكان مصاب المؤمنين فيهم عظيما، استشهد سبعون من المؤمنين، وقبلها يوم بدر قتلوا من المشركين سبعين وأسروا مثلهم: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا ﴾ [آل عمران: ١٦٥]

وقيل نزلت في والد جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وقيل في شهداء بئر معونة، ولا تنافي بين الروايات لجواز أن يكون كلها قد وقع[1]

١ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي:٣٣٣/٢ تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

فالمصاب هنا متوجه إلى الشهيد ذاته ذلك الذي جاد بنفسه في سبيل الله، فالآيات تبرز هنا ما أعده الله له من نعيم دائم سرمدي لا ينقطع، يتضح ذلك من خلال بيان عمل كل نظم في السورتين لخدمة السياق الذي ورد فيه كما يأتي.

ثالثا: البلاغة المقارنة بين الآيات

جاءت آيات كل سورة وفقا لسياقها، من خلال نظمها، فآيات سورة البقرة خطاب لذوي الشهيد، فبدأت بنداء المؤمنين، مَتْلُوًّا بالأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة في مواجهة الشدائد والمحن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ [البقرة: ١٥٣] والنداء يكون للأحياء، والأمر كذلك يوجه للأحياء، "وَافْتُتِحَ الْكَلَامُ بِالنِّدَاءِ لِأَنَّ فِيهِ إِشْعَارًا بِخَبَرٍ مُهِمٍّ عَظِيمٍ، فَإِنَّ شَأْنَ الْأَخْبَارِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَهُولُ الْمُخَاطَبَ أَنْ يُقَدَّمَ قبلها مَا يهيئ النَّفْسَ لِقَبُولِهَا لِتَسْتَأْنِسَ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَفْجَأَهَا".[١]

وبعد التهيئة بالنداء يوجه إليهم الأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة، تخفيفا لمصابهم وتوطينا للنفس على تحمل المصائب، "وَفِي افْتِتَاحِ هَذَا الْخِطَابِ بِالِاسْتِعَانَةِ بِالصَّبْرِ إِيذَانٌ بِأَنَّهُ سَيُعْقَبُ بِالنَّدْبِ إِلَى عَمَلٍ عَظِيمٍ وَبَلْوَى شَدِيدَةٍ، وَذَلِكَ تَهْيِئَةٌ لِلْجِهَادِ، وَلَعَلَّهُ إِعْدَادٌ لِغَزْوَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَى".[٢]

ولما كانت الآيات هنا تهيئة للمسلمين في بداية القتال وتوطينا لهم على التحلي بالصبر قبل دخول معمعة الحرب والجهاد، جاءت معنية بالحديث عن الصبر والاستعانة به وبشرى الصابرين وبيان معية الله لهم، معلنة أن القتلى في سبيل الله أحياء وليسوا أمواتا، لتتهيّأ نفوس المسلمين لتلقي مصابهم في ذويهم بصبر وثقة ويقين.

١ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ٢/ ٥٢ الدار التونسية للنشر – تونس١٩٨٤هـ.
٢ السابق والصفحة.

وبالنظر إلى آيات سورة آل عمران نجدها تماثل آيات سورة البقرة في الابتداء بأسلوب إنشائي وهو النهي:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ﴾ آ وهو نهي صريح لرسول الله ﷺ الغرض البلاغي منه الإرشاد إلى تصحيح المفاهيم والمسميات، وقد ورد النهي كذلك للمؤمنين في سورة البقرة ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ فوجهت أهل الشهيد إلى تصحيح المسميات، ونهتهم عن وصف الشهداء بالموت، فليس الشهيد ميتا بل هو حي يرزق، وفي هذا مواساة تصل إلى قرار القلب وتزيل عنه ألم الفراق، وحرقة الفقد.

جاء النهي في الموضعين تارة بالنهي عن القول: (ولا تقولوا)، في سورة البقرة، وتارة بالنهي عن الحسبان: (ولا تحسبن)، في سورة آل عمران، الأول موجه لذوي الشهيد فهم من يكثر على ألسنتهم القول بموت فلان، ويتردد ذلك بينهم فنهاهم نهيا صريحا: (ولا تقولوا)، بينما في الثاني: (ولا تحسبن)، والخطاب لرسول الله وقرئ[1]: (ولا يحسبن)، أي لا يحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أنفسهم أمواتا بل هم أحياء، وهذا يؤكد أن الخطاب للشهيد.

ونفي الحسبان يعني نفي الظن أو الشعور أو الاعتقاد، أي لا يرد على خاطرك أبدا، وهذا قمة اليقين.

التأكيد في آل عمران بنون التوكيد الثقيلة: (ولا تحسبن)، راجع إلى أن الخطاب يتعلق بأمر غيبي يحتاج إلى قوة إيمانية تستأصل شأفة الشك ونوازع التردد من قلب المؤمن، لتملأه بالرضا واليقين، بينما لم يرد مؤكدا في البقرة لأن الأمر يتعلق بالمعاينة والمشاهدة الحسية لموت الشهيد بين أيديهم محسوسا مشاهدا لا شك فيه ولا تردد، فعني السياق بما يرددونه من قول: (ولا تقولوا)، ولا يحتاج ذلك لتأكيد.

١ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي:٣٣٣/٢

والتعبير بالفعل المضارع: (يقتل) يدل على أن الخطاب يستوعب المستقبل فهم لم يقتلوا بعد، ويُشعر بِأَنَّهُ أَمْرٌ مُسْتَقْبَلٌ وَهُمُ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ بُعَيْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ.[١]

وربما يشمل الماضي كذلك، بينما آية آل عمران جاءت بصيغة الماضي: (قتلوا) فهو حديث محض عن الشهيد ذاته، وكلاهما ورد بالبناء لما لم يسم فاعله، إشارة إلى أن العبرة بوقوع الحدث والفعل وليس الفاعل، وأن المشرك يطوى ذكره في الدنيا والآخرة، بخلاف مقام الحديث عن قتل المشركين: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ [التوبة: ٣٦]؛ فإن المقام يقتضي ذكرهم للتشنيع عليهم.

الاستدراك في الموضعين ورد بـ (بل): (بل أحياء)، وقد جاء في الآيتين بصيغة الأسمية، أي بل هم أحياء؛ لتفيد الثبوت والدوام، فصفة الحياة ملازمة لهم لا يبرحونها عكس ما نتصور نحن وما نعتقد، وهذا إيذان بديمومة حياتهم الحقيقية أبدا.

لاحظ المعية مع أهل الشهيد في سورة البقرة: (مع الصابرين)، في مقابل العندية مع الشهيد في سورة آل عمران: (عند ربهم)، الأولى، بث للسكينة في قلب الثكالى والمفجوعين بفقد ذويهم؛ تضميدا للجراح وتجميعا للقوى وإحكاما للسيطرة على النفس والشيطان في مواجهة نوازع اليأس حتى تستجمع قواها بالإيمان والصبر، كما بثت السكينة بالمعية في قلب الصديق: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة: ٤٠] ، وكما بثت في قلب موسى . عليه السلام . ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٢] ، فمقام الابتلاء بالخوف والجوع وفقد الأنفس والثمرات يحتاج إلى معية الله لتبث

١ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي: ٥٣/٢

الطمأنينة في حنايا النفس فيسكن الفؤاد ويتعلق برحاب الله معلنا تسليم الأمر لله والانقياد لقضائه والرضا بقدره، بينما تأتي العندية مع الشهيد في سورة آل عمران: (عند ربهم) إيذانا بالخلود بجوار الله وتكريما للشهداء ورفعا لمكانتهم، فهم إن كانوا فقدوا مكانهم في الدنيا فمكانهم عند الله.

فالعنديَّةُ بمعنى القرب والشرف أي ذوو زلفى ورتبة سامية، وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم (عند ربهم) مزيد تكرمة لهم[1]

تذييل الآيتين مختلف، ففي البقرة: (بل أحياء ولكن لا تشعرون)، بينما في آل عمران، (بل أحياء عند ربهم يرزقون)، وهذا يؤكد ما ذكرته من سياق الآيتين، فالخطاب في البقرة لأهل الشهيد وذويه، فقال: (ولكن لا تشعرون)، بينما في آل عمران للشهيد ذاته فقال: (عند ربهم يرزقون).

فهم يُرْزَقُونَ مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون، وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق اللَّه، فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّـهُ مِنْ فَضْلِهِ وهو التوفيق في الشهادة وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم، من كونهم أحياء مقرّبين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها.[2]

آيات البقرة تحدثت صريحا إلى ذوي الشهيد بالصبر آمرة لهم بالاستعانة بالصبر والصلاة، وبينت أن الشهادة أحد أنواع الابتلاء، فالابتلاء أنواع:

الخوف وهو عدم الأمان، والجوع وهو الفقر، ونقص الأموال والثمرات، وهو ابتلاء في المال، ونقص الأنفس، وهو ابتلاء في الأرواح بالشهادة والموت،

---

١ روح المعاني للألوسي: ٢/ ٣٣٤

٢ الكشاف للإمام الزمخشري: ١/ ٤٣٩ دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ

ثم قال: (وبشر الصابرين)؛ إلحاحا على تمسكهم بالصبر وبيانا لثمرته ثم ذكر المصيبة والاسترجاع: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾

وقد ورد في فضل الاسترجاع حديث أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النبيِّ ﷺ، قالَتْ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: " ما مِن مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فيَقولُ ما أمَرَهُ اللَّهُ: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦]، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي في مُصِيبَتِي، وأَخْلِفْ لي خَيْرًا مِنْها، إلَّا أخْلَفَ اللَّهُ له خَيْرًا مِنْها"، قالَتْ: فَلَمَّا ماتَ أبو سَلَمَةَ، قُلتُ: أيُّ المُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِن أبِي سَلَمَةَ؟ أوَّلُ بَيْتٍ هاجَرَ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إنِّي قُلتُها، فأخْلَفَ اللَّهُ لي رَسولَ اللهِ ﷺ.[1]

فكانت النتيجة: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نعم العدلان ونعمت العلاوة[2]، وهكذا يتوافق السياق في آيات سورة البقرة نظما ومضمونا وسابقا ولاحقا ليؤكد توجه الآيات لذوي الشهيد تضميدا لجراحهم في مصابهم الجلل، وكأن الألم الذي تعانيه أم الشهيد وذووه ليس أقل مما لاقاه الشهيد نفسه، فهم شركاؤه في الألم والجزاء.

بينما تتمحور آيات سورة آل عمران في بيان صفات الشهداء في الجنة؛ فهم عند ربهم يرزقون؛ وهم فرحون بما آتاهم الله من فضله؛ وهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم؛ وهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل، الخ صفاتهم التي عنيت بها الآيات.

---

١ صحيح مسلم، حديث رقم: ٩١٨ تحقيق: عبد الباقي

٢ تفسير ابن كثير: ١/ ٣٣٨

وهكذا يتوافق سياق كل آية ليبرز تضامن النظم مع السياق وتوافقه مع المقام في سبيل تصحيح جديد جوهري مركز للمفاهيم لدى العقل المسلم في حركته في الحياة.

الخاتمة

بعد وقفة تأمُّلية مع الموضعين تبين لنا ما يلي:

- عُنيت سورة البقرة بالحديث عن الابتلاء والسياق كله مفعم بذلك، وهذا يعد كالتهيئة للأمر بالصبر والحث عليه إبَّان وقوع المصيبة، سواء كانت بفقد المال أو النفس أوالأمن، مع بيان ما أعدَّه الله للصابرين.
- عُنيت سورة آل عمران بذكر القتل في سبيل الله، وأن الحذر لا ينجي من القدر، وأن الشهيد ينال مغفرة الله ورحمته ورضوانه، وتبين تقاعس المنافقين عن الجهاد وبث الخذلان في صفوف المؤمنين، ثم تشرع في بيان ما أعده الله للشهداء من فرح ورزق وبشرى وحياة أبدية وزلفى من الله وفضل.

وهكذا يتوافق سياق كل سورة في التهيئة للمقصد من الآيات.

- بناء على ما سبق وجدنا النظم الشريف ينحو هذا النحو وفقا للسياق والمقام، فعُنيت آيات البقرة بالحديث عن ذوي الشهيد معلنة أن مصابهم جلل، وألمهم موجع، لكن ثوابهم لا يقل عن ثواب فقيدهم، ذلكم الثواب الذي بينته آيات سورة آل عمران على النحو الذي وضحته آنفا.
- السياقان متكاملان في التحفيز والعزاء والسلوى والمواساة، كل في مقامه ليسد فجوة في علاقة المسلم بربه وبغيره من ذوي رحمه، وهي علاقة حميمية يزكوها دافع العطاء والمنح الربانية التي أعدها الله للشهيد وذويه.

وصلى الله على نبينا وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١ التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس١٩٨٤هـ.
٢ تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.
٣ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
٤ صحيح مسلم، تحقيق: عبد الباقي
٥الكشاف للإمام الزمخشري: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ
٦مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمه	١٩٦٩
أولا: عرض الآيات	١٩٧٠
آيات سورة البقرة	١٩٧٠
آيات سورة آل عمران	١٩٧٠
ثانيا الملامح البلاغية بين السورتين	١٩٧١
السياق العام لكل سورة	١٩٧١
أولا: سياق آيات سورة البقرة	١٩٧١
ثانيا: سياق آيات سورة آل عمران	١٩٧٣
ثالثا: البلاغة المقارنة بين الآيات	١٩٧٤
الخاتمة	١٩٨٠
فهرس المصادر والمراجع	١٩٨١
فهرس الموضوعات	١٩٨٢